

الكشاف

الصرح : القصر . وقيل : صحن الدار . وقرأ ابن كثير ساقياها بالهمزة . ووجهه أنه سمع سؤفا فأجرى عليه الواحد . والممرد : المملس وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على كريقتها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين . وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسراهم لأنها كانت بنت جنية . وقيل : خافوا أن يولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأقطع فقالوا له : إن في عقلها شيئات وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشف عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدا لا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداه " إنه صرح ممرد من قوارير " وقيل : هي السبب في اتخاذ النورة : أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سبلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها عندها ثلاثة أيام وولدت به . وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطة على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان " ظلمت نفسي " تريد بكفرها فيما تقدم تقدم وقيل حسب أن سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام .

" ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلوا بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترجمون " وقرئ : أن اعبدوا بالضم على إتباع النون الباء طفرقان " فريق مؤمن وفريق كافر . وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد " يختصمون " يقول كل فريق : الحق معي . السيئة العقوبة والحسنة : التوبة فإن قلت : ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة ؟ وإنما يون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى ؟ قلت : كانوا يقلون لجهلهم : إن العقوبة التي بعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا - مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت . وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم : هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ؟ " لعلكم ترجمون " تنبيهها لهم على الخطأ فيما قالوه ؛ وتجهيلا فيما اعتقدوه .

" قالوا اطيروا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون " وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير

والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر اﷲ وقسمته : أو من عمل العبد الذي هو السبب عي الرحمة والنعمة . ومنه قالوا : طائر اﷲ لا طائر كأي : قدر اﷲ الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائر كأي الذي تتشاءم به وتتمين فلما قالوا : اطينا بكم أي : تشاء منا وكانوا قد قحطوا " قال طائرهم عند اﷲ " أي سببكم الذي يجئ منه خيركم وشركم عند اﷲ وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرملك . ويجوز أن يريد : عملكم مكتوب عند اﷲ فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة . ومنه قوله : " طائرهم معكم " يس : 19 ، " وكل إنسان ألزمناه طائره عن عنقه " الإسراء : 13 . وقرئ : تطيرنا بكم على الأصل . ومعنى : تطيرنا به تشاءم به . وتطير منه : نفر منه " تفتنون " تختبرون . أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة .

" وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصدقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عقبة مكركم أنا دمرنهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون "